هجر المشركين من البراءة من المشركين

كتبه غريب بتاريخ الأربعاء ١٤ شوال ١٤٤٢

إن الإسلام بعث من الموت حرفيا, وهذا يعني أن الإنسان إذا أسلم سوف تتغير حياته تغييراً جذريا, ينعكس على كل مناحي حياته.

ولكن هذا لا يظهر عند كثير ممن زعم الإسلام اليوم وأظهر البراءة من الكفار, فأخلاقه قبل الإسلام لا تزال هي نفسها أخلاقه بعد الإسلام, وربما أسوأ, فهو يعتقد لجهله أنه يجوز الاعتداء على الكفار وسرقة أموالهم, ولذلك في بعض الأحيان يتحول إلى سارق, والحمد لله على قلة تلك الحالات.

كذلك حياته العامة تظل هي نفسها, وكأن الإسلام مجرد كلمات يكررها المرء كالببغاء لا علاقة لها بالحياة الواقعية باستثناء بعض الأحكام المتعلقة ببعض الحالات الخاصة.

مما يعني أن هناك خلل كبير في تصور كثير ممن يدعون الإسلام اليوم, وهو ما سوف أناقشه من خلال

- واهجرهم هجرا جميلا
- كيف هجر رسول الله وصحابته المشركين
- فوائد هجر المشركين
- فوائد اعتزال المشركين

واهجرهم هجرا جميلا

سبق ورأينا أن البراءة من المشركين شرط من شروط الإسلام التي لا يصح بدينها, هذه البراءة تترجم عمليا بعدة أمور

منها إعلان البراءة منهم بالقول الصريح كما رأينا في سورة الكافرين

ومنها هجرهم واعتزالهم, فلا يمكن الجمع بين البراءة من المشركين وبين مصاحبتهم والأنس بهم, ولذلك كان من أول ما نزل على رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم قوله سبحانه:

‹ وَاصبِر عَلى ما يَقولونَ وَاهجُرهُم هَجرًا جَميلًا ›

[المزمل: ١٠]

فسورة المزمل من أوائل السور التي نزلت من القرآن.

أكد على ضرورة اعتزال المشركين موسى صلى اللّه عليه وسلم في أول خطاب وجهه إلى فرعون وقومه:

‹ وَإِن لَم تُؤمِنوا لي فَاعتَزِلونِ ›

[الدخان: ٢١]

وكذلك إبراهيم صلى اللّه عليه وسلم أبونا أكد على اعتزال قومه وقدمه على اعتزال ما يعبدون فقال:

‹ وَأَعتَزِلُكُم وَما تَدعونَ مِن دونِ اللَّهِّ وَأَدعو رَبّي عَسى أَلّا أَكونَ بِدُعاءِ رَبّي شَقِيًّا ›

[مريم: ٤٨]

ليؤكد أن اعتزال المشركين من اعتزال ما يعبدون, لا ينفك عنه, وأن البراءة من المشركين لا تكون حقيقية إلا حين يُعتزلون هم أنفسهم .

فكيف يكون هجر المشركين واعتزالهم ؟

هذا ما سوف نعرفه من رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم

كيف هجر رسول الله والصحابة المشركين

إن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم قبل نزول الوحي وبعده, كان يعتزل المشركين, كما هو معروف, حيث كان يختلي بنفسه في غار حراء الليالي ذوات العدد.

وبعد أن بعث صلى اللّه عليه وسلم ظل يهجرهم، فلا يخالطهم، ولا يصادقهم، وإنما وقته معهم أو مع بعضهم، هو وقت يدعوهم فيه وحسب.

بمعنى أن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم إذا أتى لأحد المشركين سوف يدعوه إلى الإسلام، فلا شيء مشترك بينهم وبينه سوى الدعوة، ويظهر هذا جليا في بعض المواقف التي حفظت لنا في السنة.

فمثلا عند وفاة عمه أتاه ليدعوه إلى الإسلام قبل موته، كما هو معلوم في الحديث.

كذلك لما أتى رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم للغلام اليهودي يعوده، دعاه للإسلام وأسلم الغلام بحمد اللّه.

ربما بالنسبة للرسول صلى اللّه عليه وسلم لا يظهر لنا الهجر عمليا نظرا لكونه كان يهجر الكفار من قبل، لذلك حتى نرى كيف يتم هجر المشركين علينا النظر في حياة الصحابة رضوان اللّه عليهم لما أسلموا كيف تغيرت، وهذا ما نجده في السنة.

ففي عدة أحاديث نجد أن الصحابة رضوان اللّه عليهم تنكروا لأهليهم بمجرد إسلام أحدهم، وتنكروا لثقافتهم في الجاهلية، وأقبلوا على الوحي حصرا يستقون منه معارفهم.

أي أن هجر المشركين يعني هجر مخالطتهم والأنس بهم وعاداتهم وتقاليدهم وكل شيء متعلق بهم، ويكون وقت المرء معهم وقتاً للدعوة إلى اللّه عز وجل وحسب.

وأن تستغل المناسبات كلها في الدعوة، فالدعوة هي العلاقة الوحيدة التي بين المسلم والمشركين، وبهذا تكون البراءة من المشركين قد تحققت فعلا قولا وعملا.

هذا هو الأصل، وفي حالات الخوف يمكن إخفاء هذه البراءة تقية كما سوف نرى إن شاء اللّه في مقال قادم عن التقية التي رخص اللّه فيها في بعض الحالات.

فوائد هجر المشركين

إن لهجر المشركين فوائد جمة يصعب حصرها من أبرزها:

تحقيق الإسلام، فالإسلام لا يمكن أن يكون دون البراءة من المشركين والتي تترجم عمليا بهجرهم

تهيئة النفس للتغيير الجذري الذي يحدثه الإسلام والذي بموجبه ينتقل المرء من حياته الجاهلية إلى حياته الإسلامية الجديدة، فمن غير هجر المشركين يستحيل هذا التغيير، وذلك لكون الإنسان يتأثر تأثرا بليغاً بمحيطه.

فإذا هجر المرء الكفار سهل عليه تغيير حياته التغيير المطلوب.

كذلك هجر المشركين وعاداتهم وتقاليدهم وكل شيء متعلق بهم ضروري للاستفادة من نصوص الوحي كما سبق وفصلت في مقال كيف نشفى بالقرآن والسنة.

فوائد اعتزال المشركين

إذا لم تؤتي الدعوة ثمارها يتطور الهجر إلى اعتزال تام وساعتها تتنزل الرحمات واقرأ:

﴿ فَلَمَّا اعتَزَلَهُم وَما يَعبُدونَ مِن دونِ اللَّهِ وَهَبنا لَهُ إِسحاقَ وَيَعقوبَ وَكُلًّا جَعَلنا نَبِيًّا ﴾

[مريم: ٤٩]

فرتب الله هبة إسحاق ويعقوب له على اعتزاله للمشركين وما يعبدون من دون الله.

وذلك رحمة من الله بعده فلما اعتزل العبد المشركين ولم يستأنس بهم، وهبه الله أُنساً أزكى وأطهر بنين وحفدة وجعلهم أنبياء ليكونوا خير أنيس لوالدهم.

والذي يدل على أن هذه الهبة للأنس أنه لم يذكر إسماعيل صلى الله عليه وسلم فهو أيضا ولده ووهبه الله له قبل إسحاق، وذلك لكون إسماعيل كان مع أمه هاجر في مكة ولم يكن مع إبراهيم عليه السلام.

فذكر إسحاق ويعقوب دون إسماعيل ليدل أنه وهبه إياهم ليأنس بهم جزاء له لما اعتزل المشركين فلم يبق له أنيس، وهذا هو الأجر الذي أوتي في الدنيا كما قال ربنا عز وجل:

‹ وَوَهَبنا لَهُ إِسحاقَ وَيَعقوبَ وَجَعَلنا في ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالكِتابَ وَآتَيناهُ أَجرَهُ فِي الدُّنيا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصّالِحينَ ›

[العنكبوت: ٢٧]